زراعة الأمل في الصحراء الغربية: الأخذ بأيدي شعبي نحو الاكتفاء الذاتي

طالب إبراهيم*

كثيرا ما يكون احتلال الصحراء الغربية – الواقع في إقليم المغرب من شمال إفريقيا– في طي النسيان، على الرغم من طول أمد ذلك الوضع، والمجتمع الكبير الذي يعيش أزمة نزوح طال أمدها. ففي عام 1975، اجتاحت القوات المغربية والموريتانية إقليم الصحراء الغربية، سعياً وراء توسيع سيطرتها الإقليمية، وأجبرت الآلاف من الشعب الصحراوي الأصلي للفرار والبحث عن الملاذ الآمن في الركن الجنوبي الغربي من صحراء الجزائر، قرب مدينة تندوف النائية.

وقد أدى احتلال إقليم الصحراء الغربية، إلى نشوب نزاع مسلح، والذي ترك حركة التحرير الصحراوية (جبهة البوليساريو)[1]، تقاتل على جبهتين، القوات المغربية في الشمال، والقوات الموريتانية في الجنوب. وفي عام 1979، وقعت الحكومة الموريتانية اتفاقية سلام مع جبهة البوليساريو وانهاء مشاركتها في الصراع. وقد تم انهاء الصراع المسلح بين جبهة البوليساريو والقوات المغربية، بعد تدخل الأمم المتحدة والاتفاق على وقف اطلاق النار، والتفاوض بشأن وضع خطة للتسوية في عام 1991. وفي عام 1992، كان من المقرر إجراء استفتاء يُمكن فيه الصحراويين من التصويت إما أن يكونوا جزء من المملكة المغربية، أو أن يصبحوا دولة مستقلة.

منذ ذلك الحين مضت 25 عاماً، و المأزق السياسي مستمراً، ولاتزال الأمم المتحدة غير قادرة على على أجراء الاستفتاء[2]. ولذلك، ما زالت الصحراء الغربية أكثر المناطق أهمية على قائمة الأمم المتحدة للأقاليم غير المتمعة بالحكم الذاتي، سواء من حيث مساحة الأرض أو عدد السكان. وقد ترك الاحتلال المغربي لإقليم الصحراء الغربية والمستمر منذ 40 عاماً، أثاراً وخيمة على الصحراويين[3]. ومن بينها القيود المفروضة على استخدام الموارد الطبيعية للإقليم بالمخالفة لقواعد القانون الدولي[4]. وأزمة اللاجئين الممتدة في الجزائر. وتقدر أعداد اللاجئين الصحراويين 165,000، لا يزالون حتى الآن يقيمون في مخيمات مختلفة بالقرب من مدينة تندوف[5].

في الثمانينيات، قامت المغرب بتشيد الساتر الرملي، وهو جدار يمتد لمسافة 2,700 كيلو مت، من الشمال إلى الجنوب على طول الحدود الغربية للجزائر وموريتانيا. وارتفاع الجدار من 3 – 4 متر، و مزود بأنظمة رادرية فائقة، ودوريات من القوات المغربية تتألف من 120,000 جندي، و أكبر حقل ألغام متصل على مستوى العالم[6]. بالإضافة إلى التهديدات من العودة،

* طالب إبراهيم، مهندس من الصحراء العربية، يعمل في مجال الزراعة المعمرة، وحاصل على درجة الماجستير في الزراعة. ومقيم في مخيم السمارة للاجئين في الجزائر، حيث يشارك في مشاريع زراعية مختلفة ترعاها العديد من المنظمات غير الحكومية. ويعمل الآن على تحقيق حلمه في جعل الصحراء خضراء. وشكر خاص Adam VanNoord، من (Not Forgotten International)، وMarcos Arana، (WABA)، و Emily Mattheisen، (FIAN International)، على دعمهم في استعراض هذه المقالة التي كتبت في الأصل باللغة الإنجليزية.

وسلامة المجتمعات الصحراوية للصحراويين، فذلك الجدار يفرض قيودا شديدة على حركة الشعب الصحراوي البدوي التقليدي في الصحراء.

تلك الأوضاع تجعل من الصعب، وإن لم يكن من المستحيل، على الشعب الصحراوي أن يقوم بانتاج غذائه وتغطية احتياجاته من التغذية بنفسه، مما أدى إلى الاعتماد بشكل كامل على برامج المساعدة الغذائية من المجتمع الدولي من أجل البقاء على قيد الحياة.

فالغذاء الذي يحصل عليه اللاجئين الصحراويين، يتم انتاجه في جميع دول العالم، ثم يتم تجميعه بواسطة المنظمات والوكالات الدولية[7] وتوزيعه على مخيمات الصحراويين. ويتم احتساب السلال الغذائية التي يتم توزيعها شهرياً، وفقا للحد الأدنى من السعرات الحرارية التي يحتاجها جسم الإنسان، وتتشكل تلك المساعدات بشكل أساسي من المواد الغذائية الجافة مثل الحبوب، والبقوليات، والسكر والزيت؛ ولا تتضمن تلك المساعدات منتجات الألبان أو اللحوم أو الأسماك. وفي السنوات العشر الأخيرة ضمت سلة الغذاء إضافة من 2 –3 كيلو جرام من الخضروات.

وعلى مدار أربعين عاماً من الاعتماد على التغذية غير المتوازنة للمعونات الغذائية، اصبح سوء ونقص التغذية منتشرا على نطاق واسع، كما أصيب العديد من النساء والأطفال بفقر الدم، وضعف النمو لدى الأطفال، والإصابة بأمراض الغدة الدرقية والسمنة.[8]

وعلى الرغم من حقيقة أن الوضع أصبح من الأزمات الممتدة، فقد كان هناك القليل من الاستثمارات المحلية لتحقيق الاكتفاء الذاتي[9]. إلا أن حياة اللاجئين الصحروايين مهددة بشكل متكرر، نتيجة عدم كفاية التمويل ونقص المعونات الغذائية واستبعاد بعض المنتجات بشكل دائم أو مؤقت.

أحد الحلول للتغلب على تلك المشكلات في المخيمات هو مساعدة شعبنا في تمكينه من انتاج الغذاء في منازلهم لتلبية احتياجاتهم[10]. إلا أن هناك العديد من المعوقات، نتيجة لنقص المياه، والظروف البيئية القاسية والافتقار إلى التربة الخصبة. وهناك تحد أخر وهو أن تلك المجتمعات أصلها بدوي، مما يأخذ وقتاً طويلاً لإقناع الناس التي ليس لديها خلفية عن الزراعة بأن في إمكانهم انتاج غذائهم بالذات الطريقة للشعوب في الدول المجاورة الذين يمارسون الزراعة.

هناك احتياج إلى جهد كبير من التدريب والتوجيه، ولكن في خلال عشر سنوات فقد كنا قادرين على الانتقال من زراعة ثلاثين حديقة إلى حوالي ألف حديقة عبر ثلاثة مخيمات من أصل مخيماتنا الست[11]. فهناك عائلات تتلقى التدريب على الجوانب المختلفة للانتاج، وتركز بشكل خاص على الممارسات الزراعية، وأساليب الزراعة العضوية مثل السماد الطبيعي، فرش الوقاية، ومكافحة الآفات بيولوجياً، وانتاج الأسمدة العضوية والاستعدادات للسيطرة على الآفات والأعشاب الضارة، وغيرها؛ وكذلك أساسيات الزراعة المعمرة والحفاظ على البذور.

وأصبح الذين تلقوا ذلك التدريب القيم قادرين على حصة ضخمة من المواد الغذائية الطازجة، وألهم كذلك أخرين للمشاركة في تلك المشاريع. ولم يكن ليتحقق أياً من تلك النتائج دون الدعم الأولي من العديد من المنظمات غير الحكومية، والمتطوعين الدوليين، والمنظمات المحلية مثل اتحاد الفلاحين الصحراويين، وأعضاء فاعلين من المجتمع الدولي.

وكما هو الوضع في أي قضية احتلال، لا يوجد حل حقيقي للاجئين الصحراويين وغيرهم من الشعب الصحراوي، حتى تترك سلطة الاحتلال الإقليم وتعيد أرضه وموارده الطبيعية إلى أصحابه الشرعيين. شعبنا المسي لا يزال أمامه طريقاً طويلاً لكي يصبح مكتفياً ذاتياً، ولكن ما حققناه حتى الآن هو خطوة نحو الاتجاه الصحيح لتخفيف معاناتنا واستعادة سيادتنا على غذائنا ومجتمعاتنا.

[1] جبهة البوليساريو هي منظمة سياسية وعسكرية، للكفاح من أجل انهاء الهيمنة المغربية على إقليم الصحراء الغربية الذي كان خاضع في السابق تحت السيطرة الإسبانية، وتحقيق الاستقلال الكامل لذلك الإقليم.

[2] بعثة لأمم المتحدة من أجل الاستفتاء في إقليم الصحراء الغربية (MINURSO). والتي تم إنشاءها في عام 1991، بالتوافق مع اتفاق تسوية بين المغرب، وجبهة البوليساريو، من أجل وضع الترتيبات الأخيرة لانهاء عملية الاستعمار، وإجراء ومراقبة الاستفتاء على استقلال الصحراء الغربية. وبسبب العراقيل السياسية لم يتم الاستفتاء حتى الآن، وتم تمديد بعثة الأمم المتحدة 41 مرة. للمزيد من المعلومات يرجى زيارة الموقع التالي: /http://www.un.org/en/peacekeeping/missions/minurso

[3] للمزيد من المعلومات عن تاريخ الاحتلال، وتحليل حقوق الإنسان، يرجى الاضطلاع على ورقة: ماء العينين لكحل، محمد عمرون، "الصحراء الغربية، الحرمان من حق تقرير المصير، وحقوق الإنسان"، من كتاب الأرض ومن عليها، أصوات المجتمع المدني لمعالجة الأزمة على الموارد الطبيعية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، تحرير شبكة حقوق الأرض والسكن– التحالف الدولي للموئل، ص 253–242، القاهرة، شبكة حقوق الأرض والسكن، 2015. متاح على الرابط التالي: http://hlrn.org/publication_det.php?id=o2ps#.V_Z1ZuV97mg

[4] شبكة حقوق الأرض والسكن، " الصحراء الغربية: الاستغلال من خلال الاتفاق المغربي الأوربي بشأن مصايد الأسماك". نشرة مراقبة الحق في الغذاء والتغذية، (2013): 59، http://www.fian.org/fileadmin/media/publications/Watch_2013_eng_WEB_final.pdf

[5] UNHCR. 2015 UNHCR Country Operations Profile—Algeria. Geneva: UNHCR, 2015. Available at: www.unhcr.org/pages/49e485e16.html .

[6] Ahmed, Akbar, and Harrison Akins. “Waiting for the Arab Spring in Western Sahara.” Al Jazeera, March 14, 2012. Available at: http://www.aljazeera.com/indepth/opinion/%202012/03/201231410151626 1596.html

[7] ويتضمن ذلك، برنامج الغذاء العالمي، المفوضية السامية لشئون اللاجئين، اللجنة الأوربية للمساعدة الإنسانية، وحماية المدنيين (ECHO)، الوكالة الإسبانية للتعاون الإنمائي الدولي (AECID)، الرابطة الطبية الدولي، وتضامن أوكسفام، وغيرهم.

[8] UNHCR. Nutrition Survey Saharawi Refugee Camps, Tindouf, Algeria. Geneva and Rome: UNHCR and WFP, 2012. Available at: http://vest-sahara.no/files/dated/2014-11-23/2012_nutrition_survey_report_final_draft_en_v2.doc

[9] إطار العمل للأمن الغذائي والتغذية الذي أقرته لجنة الأمم المتحدة بشأن الأمن الغذائي العالمي في أكتوبر/تشرين الثاني 2015، وتعتبر وثيقة سياسية هامة والتي تقدم التوجيه السياسي للمجتمعات التي تعيش في أزمات ممتدة، مثل قضية اللاجئين الصحراويين. وقد تم التأكيد بشكل خاص على الاستراتيجيات التي يقودها المجتمع (المبدأ 7)، وإيجاد حلول دائمة، وطويلة الأمد بدلاً من "المعونات الطارئة"، على فترات طويلة (المادة 1)، متوفر على الرابط التالي: /http://www.fao.org/cfs/cfs-home/activities/ffa/en

[10] كذلك الترويج لتربية الجمال واستعادة تربية القطعان من أجل توفير اللحوم والألبان. للمزيد من المعلومات أنظر: Volpato, Gabriele, and Patricia Howard. “The material and cultural recovery of camels and camel husbandry among Sahrawi refugees of Western Sahara.” Pastoralism: Research, Policy and Practice 4:7 (2014). http://pastoralismjournal.springeropen.com/%20articles/10.1186/s13570-014-0007-4.

[11] لمزيد من المعلومات حول التطور التقني والزمني لزراعة الحدائق يرجى الاطلاع على الرابط التالي: http://landtimes.landpedia.org/newsdes.php?id=pW1t&catid=ow==&edition=o2s=